ترجمة الدكتور : محمد سعدون

ظل حارس

ديوان محمـد ديب

تقديم : لويس أراغون

خيال
للنشر والترجمة

ظل حارس

ترجمة الدكتور : محمد سعدون

ظل حارس

ديوان محمد ديب

تقديم : لويس أرغون

دار خيال للنشر والترجمة ©

تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور

برج بوعريريج – الجزائر–

0668779826

Khayaleditions@gmail.com

ردمك : 978-9931-06-001-7

الإيداع القانوني : السداسي الثاني 2019.

تقديم الشاعر لويس أرغون للديوان

من الألم تولد الأغنية، بداية قد يندهش الإنسان من نفسه ذاتها، ولكي يتعرف الإنسان على نفسه بشكل أفضل عليه أن يثبت المرآة جيدا في يده، وإذا استمر في مقارنة العالم وكلامه مستخدما هذه المرآة فكأنه للوهلة الأولى لا يجد إلا ما يخرج من حنجرته ويبقى مطولا متسمعا موت هذا الصدى في الأعماق.

الاختيار.. هل نختار هذا الترميم للقلب، أو هذا الوجع الذي يجعل العيون مجنونة؟ لا أدري صراحة هل نغنيه من أجل الشعور بالسلام أم نغنيه كي نطفئ ذلك الحريق الذي يستعر في داخلنا لكن لماذا نغني هذا دون ذلك؟ إنه التساؤل الرهيب للشاعر ذاته أي ما تعكسه تلك المرآة الداخلية، ثم يأتي القرار الصعب دوما خطيرا كأننا في مفترق طرق الحياة ونحن ملزمون بالاختيار بين أن يكون المرء نجارا أو طبيبا.

وفي كل قصيدة كان يمكن أن أقول هذه الكلمة ولا أقول تلك. والمأساة هي أننا لسنا هنا لتمثيل مسرحية هزلية، أو نرتدي ملابسها أو على الأقل هي الملابس المثيرة للشفقة والتي لن نتمكن أبدا من خلعها، هذا الحكم الذي سيعرض في الساحة العامة بكل بهرجة، والذي يتكلم لم يعد وحيدا،

لأن العالم أمامه يؤدي دور القاضي، وأنا في عالم فماذا أفعل فيه؟

أتخيل محمد ديب في نظري وكيف يمكنه أن يأخذني إلى ذلك العالم؟

ترى هل أستطيع بعيوني الفرنسية أن أحيط بميلاد الشعر الجزائري؟ لطالما كانت الرواية والحكاية والقصة بمثابة الدعوة إلى رحلة: أدخل مع المؤلف في جزائره المجهولة ولكن القصيدة؟ حتما تكون تلميحا مشحونة بقوة غريبة بكل ما يفترضه اقتصاد الكلمات حول واقع يتقاسمه مع الآخرين وليس معي، فأفاجئهم وهم يتحدثون، حركاتهم مألوفة تختصر الأشياء، وأنا أشعر أنني غريب داخلها داخل هذا السر الجماعي.

الغريب في الأمر هو أنني هنا لا أجد نفسي أبدا أمام شعر مترجم، الكلمات كلماتنا بل هي كلماتي.

هذا الرجل ببيئته التي لا تطابق بيئتي والأشجار أراها من نافذتي وأنهار أرصفتي وأحجار كاتدرائيتنا، يتحدث بكلمات "فيون" و "بيغي" وذاك بلا شك ولا ريب مظهر أساسي لهذه المأساة الجزائرية، حيث الكثير من الناس يبدون رأيهم ببساطة ودون تعمق في الوقت نفسه الذي يكون فيه التعبير في أعلى مستوى عند أولئك الذين لغتهم هي الوفاء لشعبهم كي يصلوا إلى الذي يتفلت من التحليل من أجل

الذي لا يحاط به، هذه الفرنسية هذا العزف البياني المتناغم تماما.

هذه الآلة على ضفاف "لوار"، هذه اللهجة التي هي أيضا لهجة الجنود في الليل، وقاموس التمشيط العسكري، والتعبير عن التعذيب والجوع.

في يوم ما ربما يكون لهذه وزن معتبر، ويكون لهذه القصائد ثقل كفواكه هضبة فرنسا! في ساعة لن تكون فيها أي قيمة لكل ما كان حياة وانسجاما وموسيقى قلب وروح.

عندما لا نحفل أبدا إذا ما العلاقات الإنسانية أبت أن تكون هذا التبادل للذهاب إلى عبودية أيام الحرب، إلى خضوع الإنسان إلى آلة قاسية لا ترحم، عندما يكون القتل قانونا، عندما يكون الخير هو ما يقرره الآخرون، يطرح الشاعر سؤال غنائه، هل سوف يصمت؟ أو يخضع للصيرورة العسكرية.

بلغت من العمر أربعين سنة في 1939، وجوابي على السؤال يسمى الفجيعة، وربما من هنا أستطيع أن أفهم شاعر "ظل حارس"، ابتداء من هذه التجمعات لبلدية "كروسور أورك" سوف أستطيع أن أتبعه.. هذا أوراس كلماته عبر ربى العشب اليابس والنار..

غريبة هي بلادي.

حيث تتحرر أنفاس كثيرة.

في هذه الساعة للتحولات العميقة، هناك رجال أيضا يجدون في أنفسهم نبرات غير معهودة للضياء الخارجي.
إذن في وسط الحركات الآلية لنشاط ظاهري وجدت مجددا معنى القواعد المنسية، والذوق المعقد للغة، والمفعول الالكتروني للقوافي.
ذا الأصداء البعيدة للأساطير والتاريخ وخرافات الحب والموت، ثم كذلك "طروادة" و "مدريد"، وزهرة عسل المحبين، "تريستان" الذي خلق الجنون، "أليونورداكيتان"، كل ذلك يأتي إلي في أغان عبر جدل فكري، كل من يفر من الواقع هناك يخدم الآن الحقيقة الممنوعة.
لا أحد في 1960 يستطيع أن يمنع الشاعر إذا قال الأوراس من أن يرى في عيونه الصور التي تحتويها، ومهما كانت قدرات القوانين لا يمكن أن تقمع هذا الحزن إذ هو حزن لا يقهر.
وكما أنه من الغريب أن لغة "باسكال" و "فالمور" تتشكل على شفاه من وراء البحر بنفس غرابة لون عنب الملام.
منظر المنفى يصبح عندي بشكل مألوف وطبيعي، كأنه ذلك الذي يتزوج بالشعر.
مساءات باريس الدافئة
كم أنت مريرة عندي

هذا الكتاب له مصراعان، صراع منفتح على الجزائر، والآخر يفترض أن يكون مفتوحا على أوروبا، أونفير، بوردو، باريس.. ربما وجب قطع تلك الشوارع، وهذه الشواطئ من مناخنا كي نعود إلى القصائد الأولى حيث:

النعنع الجديد قد أزهر

والتينة قد آتت أكلها

من أجل فهم الحنين فإن باريس لديه هي جحيم من أجل أن يستعيدها مع هذا الرفيق الذي التقى به في مدننا وأشعر أنه لم يعد غريبا عندي ليس لأننا نتكلم نفس اللغة لكن لأننا نملك نفس الرؤيا لهذه الإشراقات بمعناها "الرنبوي" التي بواسطتها يستضيفني عنده ويغمرني بكرم قريته، أشعر بأنني لم أعد غريبا عليه عندما يفضي أمامي بما هو طبيعي عنده.

مطر شاحب جدا

يحرق كل الحدائق

أيها الطاووس النائم

هل هو الوقت الملائم؟

أحس أحيانا أمام لوحات الرسامين هذا الشعور بالظلمة المعتمة، الظلمة من أول وهلة وعند الرجوع ربما أراها من وجه آخر أو بصفات أخرى، حيث يعلق الضوء فجأة، هذه القصائد قد كتبت من أجل الشمس الإفريقية الحارة جدا

مما ينبغي أن تكون الجدران سميكة جدا، وسقوف المنازل لا يسمع من خلالها وقع الخطى، تخيلوا كلمة حديقة مثلا لما تضيف إليها صورك الخاصة، الصور التي في ذهنك عنها، تجدها تشير إلى شيء آخر غير الزهور المغاربية واختلاف الماء عندما نفارق الصحراء، أقف مع شعوري بالفضول الغريب عند عتبة هذا الرجل، وفي مدخل عالمه الخاص حيث تنضج الأشياء بشكل مختلف وأسمعه يقول:

الكلمات التي أحملها

على لساني

إعلان غريب

وليست متأكدا حقيقة من سماعه أو لا حق لي أن أسمعه، وأندهش من ضيافته التي تجعلني أدخل إلى حميمية منزل أشعر حياله بنوع من اللوثة والدنس.

يا محمد بيني وبينك، لماذا هذه الثقة؟ ما الذي نملكه فيجعلنا لا نفترق؟ ويبتسم للمرة الأولى ويجيبني من خلال أقصر قصيدة لديه "المستقبل".

ترجمة: الدكتور محمد سعدون

كلمـــــة المترجم

على الرغم من كون معظم قصائد الديوان قد كتبت في الأربعينات وفي فترة استعمارية ظلامية، إلا أنه كان إرهاصا لعبقرية محمد ديب الأدبية في تحديها للوضع السائد المثقل بالهموم.

إنه ديوان نعده تجربة رائدة في شعرنا الجزائري المعاصر، بل يمكن اعتباره الانطلاقة الأولى الناضجة في هذا الفن عندنا.

لهذا الديوان طقوس فنية وفكرية وفلسفية متميزة عما تلاه من تجارب الشعراء، فقد اعتمد اللغة المختزلة المشعة والرموز الحادة المفجرة لحدود الغيب.

وهو بهذا الحجم الصغير نافذة مطلة على عوالم شعرية غريبة مشحونة مكثفة تنم عن تجربة رائدة.

حاولت أن تكون الترجمة دقيقة قدر الإمكان معبرة عن رؤية الشاعر ذاتها بألوانها وحدودها مستعيرا وسائله وأدواته الفنية ومتماهيا في فضاءاته الرمزية والسريالية والرومانسية والاستبطانية، وقد التزمت تماما بخياله وصوره الشعرية ورؤاه الفنية بعيدا عن الحرفية، مما نتج عن هذه الترجمة – المقصودة – غياب الصياغة المترفة والأناقة الشكلية فاكتناز الديوان يكمن في الداخل وراء بناء لغوي يبدو في

سياق المألوف مرتجا ومهتزا نظرا لذلك المضمون الطافح بالتفجرات.

وقد صب الشاعر معظم قصائده في قوالب نثرية فكان أكثر قدرة على ترجمة فلسفته ورؤاه ترجمة إبداعية يتجلى فيها صدق التجربة العميقة.

إنه ديوان يعبر حقا عن الذات الكبيرة المتشظية للفنان الأصيل حين يعيش الاغتراب والغربة.

وهو يتطلب في قراءته التأني ومعايشة التشكيلات اللغوية العسيرة.

حسبنا أننا نوهنا بهذا الديوان النفيس في أدبنا الجزائري المعاصر.

د/ محمد سعدون

ظــل حــارس

-1-

أغلقن الأبواب
أيتها النساء
فالسبات الحزين
يغمر أعصابكن
أفنى الماء
والرمل
أثر خطاكن
فلا شيء
ملك لكن
هناك في الأبعاد
ومضات نجوم
مناحي الأرض
معتمة
والمغاني
سوداء
وهي تأوي
راحتكن

أغلقن أبوابكن
فأنا الحارس
ولا شيء
ملك لكن
-2-
لكن
سأغني بهدوء
كي لا يعكر العناء
مطلقا
إغفاءكن
والأمان لكن
أمهات وزوجات
فالمستبد
شارب الدم
في مناسفكن [1]
يصير هباء

أسير على الجبل
أين يأتي الربيع
ينبت العشب الفواح

[1] – مناسف: منسفة سلة لنسف الحب

أنتن جميعا
اللواتي تسمعنني
عند ما يتمطى الفجر

سوف آتي
لأطهر الأعتاب

وأغطي بالأغاني
نعيب الزمان
-3-
لا تسألن
إذا ما تهب الريح
مثقلة على القمم
وأذكت موقدا

هل هي نار حبور
هل هي نار المعوزين
أم إنذار متربص

في الليل الذي لا زال مخيما
أنتن يا نساء مزيفات

أغلقن أبوابكن
واحلمن
أمشي، أمشي:
الكلمات على لساني
إعلان غريب

مطلــع الفجــر

الفجر منبلج
والطبيعة تحاك
بخيوط الدم
والريح، والصمت
والزوابع الصفراء

وينحرف لحن الغناء الجميل
فوق الربى
بلا نهاية
كل الأواصر تقطعت
آه !
كيف أحيا ؟!

مغناي مستقر للصقيع
يعصف حتى الموت
ولكن
أنت تهمهم
" لينته المنفى فقط "

النعنع الجديد قد أزهر
والتينة أتت أكلها
" لينته الحداد فقط "

في زمن العذابات
أنت وحدك
يا بنت الخزامى
بقلبك المظلم
أنت وحدك
تستطيعين الغناء
هكـذا ...

الساعــة المجنونــة

الساعة المجنونة
تائهـة
سـوداء
أنتم ستعرفونها
بكثرة حقدها الأسود
وشدة الصراخ
وعتو الرياح

تولد من الأكلاس العتيقة
ومن نيران البحر
مجاذيفـها
للموت
تلتمع غريبة

أنتم ستعرفونها
إنها ساعة الحداد
ساعة الدم المسفوح على الكروم
وجنون الضياء

أغنية للأطفال

واحد
الحريق ...
إلى الخنجر
هذه اللعبة
تمزق الطبيعة

اثنان
عند الأحياء
العيون مشكلة من الكلمة
" والحوذان " [1] آسف

ثلاثة
ظل ورهينة
رهينة وظل
وإذن ؟

أربعة
الثلج ينثال
صمت

1- الحوذان: نبات زهري

رهينة وظل

خمسة
ليس إلا ثلج قليل
ويؤخذ كل شيء
يؤخذ كل شيء

ستة
الموت
النصف في مكان آخر

حراسة عين
واحد، اثنان
ثلاثة، أربعة، خمسة
ستة قتلى
إلخ ...

صـــــوت

في هذا الصباح الفاتح عينيه قليلا
في الضباب وفي الوحشة
وبعض زهيرات السهوب

ثمة أعشاب يابسة تحترق
وبعيدا هناك
رداء يخفق
أم أنها امرأة تمشي؟

أتأمل هذي الأراضي الحمراء
وأفكر
إنه ربما ذاك فقط
ما جعل القلب عنيدا

وفجأة ينطلق صوت
يجيبني في الضياء الأبدي
وكله مضطرب:
عبر الفصول حيث تمر السنون
ولكن سأظل فتيا
وأولد ثانية فتيا

بل وفتيا أكثر

كهذا اليوم المخضل بالندى
والبارد جدا أيضا
أحببني !
ورددت الريح
أحببني ...

علـــى الأرض المضلـــة

إذا الليل سقط
أخذت استرخائي
فوق الجبال الفولاذية
وتجردت
على مرأى الصباح
مثل التي تقوم
لتجلب الماء المبكر

غريبة كانت بلادي
حيث تتحرر العواصف الشديدة
وترتـج
أشجار الزيتون على الضواحي
وأنا أغني
يا أرض
محرقة، سوداء
أمي الودود
ابنك لن يبقى وحيدا
مع الزمن الذي يمزق قلبه
اسمعي صوتي الذي
يتخلل الأشجار

فتجأر منه الثيران
صباح هذا الصيف قد وصل
وقعه أقل خفوتا من الصمت
أحس كأنني مطوق
أمي الحنون
النساء في أكواخهن
ينتظرن صيحتي

أمي الودود
النساء في أكواخهن
ينتظرن صيحتي
لماذا يقولون لي:
لماذا رحت تقف عند أعتاب أخر
كزوجة مطلقة؟
لم تهت مع صيحتك
يا امرأة
عندما تبدأ نسيمات الصبا
ترتاض على الربى؟
أنا المتحدث يا جزائر
ربما لست إلا كأتفه امرأة
من نسائك

لكن صوتي لن يقف
ينادي رباك والجبال

هبطت من الأوراس
افتحن أبوابكن
يا قرائن الوداد
امنحوني ماء باردا
وعسلا
وخبز شعير

جئت لأراكن
حاملا لكن السعادة
ولأطفالكن
وليكبر كل وليد
وينمو قمحكن
ويرغد عيشكن
ولا شيء يخذلكن
ولتنعمن بالسعادة

العنـاصـــر

-1-

نجم الدب الأكبر منطلق
بأعلى صوت
في قلب غيم دموي مكثف
قطعة
من نحاس بلا ذاكرة
وسرب طيور مغن
يطوقه مطر لا يقهر
يحرس شجر " الباؤوباب" [1]
منذ الطفولة

وصوت مينوتو[2] تعب
منذ زمن
يغوى شكوى
مدينة
خالية تماما
صماء تماما

---

[1] – الباؤوباب: شجر استوائي

[2] – مينوتو: أسطورة إغريقية

-2-

صمت
قوي جدا
لأعمـدة
صمت لشوك أخضر
وأذرع حول العنق
صمت لشوك أخضر
وأذرع حول العنق

وامرأتي تصارع الجوع
الذي لا يجتث
جفونها مطبقة
وهي تغني

لا يزال الثلج ينثال
والنجمة التي
تسحق النهار
على جسدها
تصير رمادا
في رمـاد

وصاح بالقرب مني
ثغر لطيف
لا شاحب
ولا أحمر
حورية
من دم
تهجع

-3-

يد القلب البيضاء مبسوطة
في عالم الوحوش والنار
ترتجف
كلها سواد

نافذة الطفولة
توجد ثانية في الشمس
ومرج من لهب
يطاردها بيننا ...

ماء لا قوة فيه
كدر
لا تقبض إلا على خيط أحمر قاتم

ماء ساكن

ماء جامد

-4-

مطر مصفر جدا

يحرق كل الحدائق

هل حان الوقت

يا طاووسا ينام؟

وردة زينة حمراء

ضخمة

تشرب أجسادنا

حتى العظام

والذئاب

تقتنص أيادينا

هل حان الوقت

يا فما منفغرا

الماء الأسود يبحث عن قلب

لن يتداعى أبدا

كي تسمع أوراق الدم

من ربوة عالية

-5-

نجمة تغني
على طرف العالم
تومض مثل الميت
تأتي لتفتش الأرض
حين أموت

وقديما كانت هناك امرأة
شاحبة
وعلى صدرها "مدخة" [1] بيضاء
جالسة
على وصيد البلد

ضجره
يفتح راحا واسعة
وعلى المرج طفل أعمى يبكي
إغفاء من صميم جسدي

-6-

عندما استيقظت

---

[1] - مدخة: ورم

كانت هناك نجمة لطيفة
شاحبة جدا
تغني
تحت شؤبوب مطر

مطر ينهمر
حيث نرى الدماء
والمدينة أغلقت
بالأشجار والصخور

ينبغي أن أنتظر
النجمة والربيع
وهما تمزقان الضباب
وأتيه في الإصغاء

قيلـولـــة

في وضح النهار
فجـأة
وكأن الليل يخيم
حلمت بظل يلثمني
وصارت لدي الحياة
خفيفة

ثم فجأة
تنبهت
ولكن رفيف وحيد حولي
إنها النحلة
بجناحيها الباهرتين

ترسم برفق دوائر
فوق موردة من النرجس البري
والضياء يمدد السكون

نـــور معـاكــس

وتظهر الطيور
شعلة تضاء
وإنها المرأة
بلا لقب
بلا أواصر
بلا حجاب

والعيون مطبقة تائهة
والمرأة
بنضارة البحر
متلفعة

وطفرة
تظهر الطيور من جديد
وتتمطى الشعلة
نراه أكثر
في آخر الغرفة

وإنه البحر

البحر بذراعيه النائمتين
يحمل الشمس
لا شرق
لا غرب
لا عائق
لا حاجز
هو البحر

لا شيء غير البحر القاتم الهادئ
انكدار النجوم
شهادة على تناثر السماء
عزلة
هواجس
ووشوشة

لا شيء غير البحر
والعيون مطفأة
بلا موج ولا ريح
ولا ستار

وفجأة
تظهر الطيور ثانية
وإنها هي المرأة
لا نجم ولا حلم
ولا تدفق ماء
لا ناعورة
هي المرأة
الطيور تعود
ولا شيء
غير البحر

أرض ظــل

صبار أحشاء ونعنع
ما شربت في غبوقي
حرقة جلـد
وشوك يخز
رغبتي
حول أرض ظل
وفصول مخضرة
ترقص على خط الأفق

تأتون من الظل
وتشربون طول النهار
صبار أحشاء ونعنع

ميـنـــــاء

إنها تمطر
والميناء يضج
لماذا أنا هنا ؟
أنظر القارب الأبيض هكذا ؟ !
الأرصفة
رماديـة
بحشد ثابت

والشمس تتدلى
عبر الأدخنة
ماذا تريد؟
إنك تعاني لتصرخ
غادر القارب
وها هي المدينة

الشتاء في كل مكان
كابوس
شكله الماء
وقلق
يلف " بوردو"

بلا حدود

والآن
أين تكون هادئا؟
إنه التعذر
حيث يجن المطر
الظهيرة ولت
وحينا
خيم الليل
والآن
أين تذهب للبحث عن ملجأ ؟

في السينما
أم في هذه الحانة التي تراها
المغمورة بالأضواء
وبالندامى الذين تصعب رؤيتهم
والأصوات

الأحمق
من يقول هذه الكلمات
التافهة

شكـــوى

أمسيات باريس اللطيفة
هي التي تجعلك حزينا
باريس الداكنة
للمنفي
جحيم
لما السماء الرمادية والوردية
فوق نهر السين
تستلقي
مرتجفة
قلبها كله يصرخ وينزف
أي غريب هنا
لا يحس بأنه في بيته؟
لكـن
ينتابك هذا
هكـذا.
إذا ماخيم الليل
مكانه
لا ننال ذلك في هذه المدينة الضخمة
هل
هو الحلم الشنيع يعود

لا أطيقه أبدا
هذه الساعة تثير جنوني
وأنا مثل معتقل
يلعن سريره

باريس
كل باريس
بما تحتوي
أنذرتها للشيطان
أيها الناس الطيبون
اصفحوا عن عنائي المستحكم

واصل السير
حتى يقضي النهار
شارع " بونابرت "
ثم رصيف " ملكي "
ورافعات شغل
وجسر الفنون
تخيمه ظلال حائرة
ومتحف " اللوفر" بعد نومه
في سبات ثقيل

معتـم

يذهبون
والصفصاف يروي مرتعشا
وفي الأدنى
لا ندري
أي خرافة لعابر
والإنسان معروض في المزاد العلني
رحمة عصرنا الكبرى
والصفصاف الأسود يغادر
وأوراق الشجر مفعم بالحفيف
ساحة الوئام فجأة
تنسى نفسها
والمشهد شاغر
غير أن ضياء الحرير
في ذات الوقت
يحلم ملتهبا
وفكرة جوهرية
أعادت لي السلم
عبر أغنية عارية
من السماء

المربـــيات

عيون واسعة
مغرقة بالحنين
تطارد في شارع " سيبا ستوبول "
الطير النادر

وأنتن
يا ذوات الشعر المشحن بالسحر
يخطفه ألق واجهات العرض
منسحبا
أي عالم من غرائب ؟ !
أم أي خيبة للأمل؟
أنتن ضفة النهر
والضحكة الندية
تجعله يموت
أنتن اللواتي تبعن الليلة القادمة
أيتها الأخوات
الضائع آت هنا
على آثار خطاكن
يهدي إليكن
هذي الزهور الزائفة

أنتن اللواتي نقول لهن في غبطة:
تقبلن طاقة الورد
وأغنية الوجد
وأشيائي المتشابهة
والحب الكبير

أين هو إذن
من طيبتكن!
فلا تكن بخيلات ولا متكبرات
بقلب لا ندري ما نصنع به

غريـــب

إذا لم يكن هذا البرد
فمن ينبهـني؟
هل الحلم المتلاشي تماما
والظل الأسود والصوت
هل هذه الأشياء
هي التي أبكت الطفل
أم الغيمة الشتوية
إنه أنا
أنا المزعج الذي
يسد الطريق أمامكم
لست ميتا ولا حيا
هناك يكون مجالي
جحيم الحداد
أقل من عذابي
أقل انتشارا
العودة القلقة
لروح مجهدة
النظرة التي تلقى إليه
تقصي الغريب
إنه الاصفرار

إنه اللون
مسود ومشرق
كيوم غامض وقت الغروب
ثقوا فيه
أنني تشكلت من هذا الألم

من هناك جئت
فما قيمة شيء
بمقدار مسمار؟
وها هو الشك يكبر عندي
وتزداد عزلتي عمقا

التماثـــيل

أنا الرفيق المثالي للتماثيل
في الحدائق العامة القليلة الارتياد
أرقب شفاهها
أين تقف
كلمة قتيلة
حركاتها الحجرية
بشحناتها الغريبة

عند أقدامها توجل الطيور
بالصداح
ولكن في الظل المرتجف أحيانا
تقشعر
وفي الحال تطير الطيور
بغتة
وأحس أنني واضح
مثلما أكون مع البشر

يبدو لي جليا
انطلاقا من ذلك
أن لحظة عظيمة بدأت

حيث نضيعها
وتعود ثانية
بسهولة
التماثيل وحدها هي أيضا
تظهر كي تفهمكم
هي وحدها خاصة
ترعاكم بالشفقة
تتجلى بينكم
والله أعلم
أي صداقة

رأيت بألم طافح
عيونها البريئة
الحنون

مســاء فـــي الغابــة

أمام عيوني صورة لضياء
ذي حركات لطيفة
تضرم الريح من حولها

إنه وقت لا ندري فيه
أي سر برفق
يحول ليمون المرارة
عسلا

هبنا نسمع المستقبل
عمق السماء الأزرق يخفق
شوارع، أشجار، بشر
والحياة برمتها تصغي
ويفيض السلم المتدفق للعالم
وجمرة الشمس الرفيقة
تمتد على كل الدروب
وهذا اليوم الجميل الهادئ
بارد قليلا
يضيء مليا
يلطف قلب الخريف الأصم

هــذا اليـــوم

هذا اليوم
مثل مريض محبور
من راحة طافرة
يجد مرة أخرى فجأة
لذة في الهواء وفي الشمس
ومنذهلا بالفضاء والأصوات الخامدة
عجبا !
أن توقظ فيه حياة زاخرة

مثل من ردت إليه الحياة
ولم يكن ليصدق
ولكن إلى من أعيد ارتعاش الضياء الوليد
أحمل في عمق صميمي
فيض أصم
في يوم مجنون بالصباح
عذوبة ثاقبة

وفي يوم آخر مشابه
الكلمات في حلقي تشق علي
وتسعفني قليلا

كيف يعبر عن هذا
أصدقائي الأعزاء
كيف يعبر عن هذا الشقاء؟
آه !
أبـدا
أستطيع استحضار هذا الألم

في أقصى عمق الذات تمزيق
من حيث تكتسحون الليل
في عز الظهيرة
ثلاث مرات
لا شيء يدير الزلاج الخفي
ويلج الجنون من حريق قاتم

أونــفيـــر

الشمس الخفية التي
تجوس تحت هذه الأمواه
بخطوط المعاناة
تلون الأعالي الداكنة
وتثقب
لا ندري أي جحيم
لرافعات وملفافات
وجسور متحركة
مسكونة برفرفة الطيور

وأفلاك ضخمة تنسحب ببطء
والسفن التي تجرها قريبة منها
والنفايات تضطرب بالريح
على الزوارق وفي أعلى الأرصفة
تنفث المداخن

وكل رافعة معلقة
بذراع في السماء
تئن دون انقطاع
وفي السماء

حيث تعلو صفارات الإنذار
تمزق هذا القلب
سحب كثيفة مجنونة مقلقة

كل هذا النفط في الهواء
كما في الماء المتلاطم
يغني القلق
بملء الصوت في الضوء الغائب
غناه الحزين في كل مكان
يلازمني هذا اليوم

ربـــيـــع

وتموج على الرصيف نكهة البحار
والريح تستنشق البنفسجي
بين الحيتان الضخمة
وروائح الإسفلت
والطحلب والسمك
والربيع يجتاح مركبات السفن

هذا اليوم
ذو المطر المائل
يصقل في رفق
أجهزة السفن السوداء
والرمادية التي تكلل الميناء
والأمواه والأرصفة
والسماء
تتحد في تناسق دقيق
وتخط في الفضاء
فكرة صماء
في القعر اليابس
نرى حطام سفائن مفتوحة
عندها

ربما تحيا الروح
أيها الطائر اللجوج
أيها الطائر الضائع
منذ الفجر حتى المساء
هلا تأتي لتحلم بالبحر العالي
وبالرذاذ وبالجزر الخضراء؟

وأجول هكذا
والقلب خواء
مثلما في ضيق شديد
وباخرة تغادر معولة
بعيدا، تحت الضباب
وأجول في المدينة
حيث تنفث المصانع
وأبحث بإصرار
كي أتذكر
ماذا؟

أطــوار اللـــيل

-1-

ودائما يرجع الحشد إلى حاله الأول
ودائما في الليل
ومناظر جانبية شاحبة
تلتقي
بأرتال الضياء الطويلة

ودائما
السيارات، والصائحون ببيع الصحف
يعدلون العالم الغريب بالندم
والجدران تصر هكذا
مثلما محطات الموت
وفنادق الحب تنصب فوانيسها

أبحث عن الراحة
والمدينة دائما تنفتح
كي تقودني نحو أروقة
حيث يهرب الظل الذي ابتدعناه
أضرع لنظرة النجوم الساكنة
أطير فوق الشارع وقناديله

آه !
لا شيء يتبعني ولا توجد المدينة

أوغل في الليل
أحفر المرايا
أين تتواصل أرصفة وملتقيات طرق
وأنهج وصوار
وجدران مغطاة بالملصقات
أو عارية تماما
أشجار ضخمة
تخرج من سياجاتها الحديدية
تائـه
كما في عالم لا معاناة فيه
أنظر لحظة تحت الفوانيس النحاسية
والسر الأخضر محلق فوق الحدائق
والحظائر، ثم أمضي ثانية
إلى الفجر
ليسمع وقع خطاي

في كل مكان ظلام واقب
ووضوح تـام

حيث نستطيع أن نرى والعيون مغمضة
سر أمام الذات دون اعتراض
تحت المدينة النائمة
قلب يخفق في هدوء
عين تجري
في عمق حديقة صغيرة مظلمة
يا ليل
يا ليل بلا ألم
يستقبل الظل الفقير
والحارس الليلي
مغرق
في الثمل
والقلق

جمـــال الحقيقة

على ضفاف نهر قديم
مجتاح بالضجر
في كومة من حجر وصمت
(قوي، ثقيل جدا، الساعة لا يعادلها شيء)
أطارد تلك التي اندست في الظلام

أقف أحيانا فأراها من بعيد
وهي تنتظرني
تحت بريق كرة من حنين
ومطوق بجنون بالدائرة السحرية
وعيوني
لا تراها جائلة عبر الأقطاب الأربعة
أتبعها
ولا أستطيع أن أشفي غليلي
وحدنا نحن
راحلة
إنها السيدة الوحيدة
في مكان آخر أيضا
تظهر نائمة
وفي لمح البصر

هاهي تمر أمامي ثانية
على عربة (رولس)
يحملها عراب شقي
محزونة يحرسها حينئذ
ملائكة شداد

تانــزوريـــن

دوما هي في كنه الفراغ
في عمق ظلام الليل
تقبع مدينة
في الحنين المميت
تجفل متراجعة أكثر
ببطء أمامها
هي دائما أينما كانت
نظري يجعلها تفر
واهن
وذراعاي مبسوطتان في سرها المضل
إنها هنا
تذهب وتأتي
يا جنونا
خارج الزمن
والصمت يلون بالزرقة أضواء تمتد
وتنثني
وفي لحظة ها هو الفجر الممزق

ودون أن تراني تمر برفق حولي سيدة الليل، تتلطف، تتهوى
وتمضي راكضة
في دائرة مسحورة

وتحت الألق الهادئ للمصابيح
أمكث وحيدا
وكنت أخاف أن أتحرك
وفجأة
أشعر بحزن الصباح الأليم
يصعد في كياني

كأنــما حلمــت

كأنما حلمت
على نهر رائق
بينما الليل يفتح فراغا غريبا
بين المدينة والهواء والصخرة
والماء المرنق
وأفقد الحياة في هدوء
في شهر آب هذا

كأنما حلمت، ولكن
ما هي إلا فسحة
أرصفة وجسور
تنفث سحرا قاتلا
نحن لا نذهب
سيما لا نصرخ
نحو ذاك الذي يهبط
من نهر " السين " حالما

على فمه انسحب النهر كاللحاف
ويمضي غير مكترث
لم يناد أحدا

ليس الشجرة نفسها التي ترتعش
على ضفة النهر

القمر
في عالم
حيث ينحدر الكل
في حاضرة
إلي البياض التائه
يذهب ليوقظه
من أعلى بروج كثيرة للحراسة

الطبيعـــة الباريـــسية

واحدة من هذه السماوات التي ترتعش
مثل الصراخ
تنسحب فوق نهر السين
سريعة
وإنها الوجهة السديدة
وفي آخر النهار
باريس كلها خبازية اللون
وكلها رمادية
أو بالأحرى
متموجة اللون

هذه السماء نفسها
حقا، تجعلني
أتصالح مع الحياة
وتجعلني محتملا أيضا
لا أحس أنني الإنسان
الفريسة لجنونها
الإنسان الذي
ينتظر في كل الزوايا
الظل الذي لايشفي

والقناديل البعيدة كالياسمين
أمامي ملاك يسير برفق على الأرض
إنه ملاكي الحارس
يفتح أمامي الطريق

باريس تعرف
اللحظة التي تعزيكم

أجتاز المدينة
والفجر مرتحل
وباعة الحليب
يغادرونها
في ضجيج صفائحهم

على رحيــل نيــزفال

ظلال " نيرفال "
في إشراقات " نيزفال "
ولما تغير العالم
أخذت في الحلم
غير أنه
من الواحد للآخر
هناك طريق واحد ينزل
منذ " رحيل نيزفال "
أي فجر أشرق؟

مات نيزفال
وهو الذي قال في أبياته
أتذكرون كيف غادرها نيرفال نفسه
" براغ " في هذه الأيام
الحداد فيها سيكون شديدا
ولكن، قديما في باريس
نيرفال رحل ليلا

وشمسه السوداء لا تزال تضيء
بينما نهار نيزفال

لا يكف عن الطلوع
لما الحلم والحياة تشابكا
من دون سوء
حملا الناس
إلى الأمام أكثر
نحو الطيبة

بينما لا أستطيع
أن أفرق بين الواحد والآخر
لماذا (رحل نيزفال)
مجرد صوت عبر؟
أو من أجل هذا الاختيار
الشنيع جدا
من لنا ومن لكم؟
ربما
ليست إلى هنا
كل حججي

صـــيف

-1-

جسمه العظيم
حالم
تحت إشراقة الصيف
مركب إنساني
بين رايات الحرب
والفتى
ظماه الأبدي نفذ
إلى رغبة الصمت
والأموات التي تتوجه
والعذارى يقضين عطشا
ومنذ القدم
تناغم الأمواج
على البحر

وينزل الفكر جبينه في الظل

بعد الطبيعة الفسيحة
عيون البحارة
قرب الفرح

جمال الضفاف
وفي عمق المدى
سفر الأضواء
والبستان الغريب
والسور العتيـق

أنت لست هنا
في لحظة
يتنفس البحر فيها
يا دورة الحسن
حيث أنت الفريسة

-2-

معاناة لا تمكن الرؤية
وفيض الجمال على بساط واسع
الموت يحلم
وأنت على هذا الخط الأبيض
دخلت عندنا نظيرا في جوقة
زغب الإنسان
أنهك أعضاءنا
الحيلة القديمة
لكننا موتى

سمرت نظراتها
على الناس والحيوان
وأنت ولدت
لتمارس الحب المريع

لكن بردكما الموقع

والصنوبرة الكئيبة
تقطعان
بالدم
صلاتي
وأبقى معكما وحيدا
حتى الآن
-3-
غير أني
لا أستطيع معرفة لماذا هذا الليل
يمنعني؟
هاهو جلاد الحب
وسماء أشجار الزيتون
تضيء عتمات المساء
هاهي اللحظة

حيث أستطيع الاحتجاب عن العار

الحب ليس إلا الحب
لا شيء لك
تنهنه به الأيل الذي يتنهد
على بلدي الصخري
العذوبة
ليس إلا العذوبة
ليس لدي ما أعبر به لك
وليس لدي
ما أحبك به

لا تطلبي حبيبتي
التي أحيا بها
أين لا تعيشين
أين تركتني
مع صرختي

-4-

في قلب رئيس الملائكة
إنه صحيح
أن هذه الريح القاسية

يحركها صفاء الحماسة

إنه صحيح

أن يدمى هؤلاء الموتى على القمم

وسنبلة الذكرى على شفاههم

جهنم

أن تنسلخ الكلمة

من الليل

يا صديد جرح

انتحب

لما الخطأ الغاضب

يشتكي

فيـــجا

-1-

حصني وطيد جدا
يا حبيبتي
وراسخ بلا جدران
مكرس
مر
على ساحة الآلام

طوابق عذبة جدا بالقلق
وصحاريك الرعب
احتفظ بها
مشعشعة للحارات دوما
بالذهب
في صفرة الفكر

لا ظل إلا أنت
لا تتخيل سخرية

-2-

إذا لم ترد

ستغيب إلى الأبد
ستكون المدينة
في كل مكان خفيفة
قلب " اقزينيا " نحوك
يحيطك بجدران منيعة
ركيزة " دورية " [1] وحيدة
تفرق بين الشاعر والفراغ
لكن
مرتان فتاة وحيدة
والبرنز الشبقي
والمدينة الجافة
تغطي أقواس النصر
بالعذوبة

زغب المرأة
ينحرف عن الزيتون المر
-3-
يا صيف
يا موت
يتشكل تحت الشواطئ الفسيحة

---

[1] – لهجة الدورية لهجة يونانية قديمة

خداع
بريق ينبعث
من صواري الملكة
غادر
أيها الخطر
الملكة الحكيمة تقتلني
أمان فيه خداع كثير
يحيك جنباته السيئة
البحر ومرافئ الحقد
والأمل الذي
هو حزن أعلام الحرب
منظور من كل مكان
نافذة النكبات ملأى
وعنائي
نجمة من دم

عـــش اليـــوم

ليل حب عميق
والعذوبة الكئيبة
يطوف على جبل المرارة
في الخطو القاتم للمقاتلين
أنت تنزل يا ألما أسود
من أعلى العدم العاري
في رائحة الدمع
واللأمة الذهبية
وجرم يبقى مسودا
في انتظار الشفق البارد
المتشهى
ينادي عيوني
وجوق الموتى البعيد
مثقوب بالمآسي المجنونة

لا تغفروا يا موتى الحق
وسناكم لا يزال
وأنتم تحفرون الأحراج
حيث الدم المتدفق
يخضب مزراع الورود

أغنيــة إلــى إلـــزا

الأراضي تشرب بثدي الفجر
جزة صوف ناعمة سوداء
لا تبدو مستطيعة
الاجتثاث من أثقال النوم
حينئذ
محاط بالسكون، الهمهمات
والحليب الصباحي
من يرهف السمع؟
من يرى؟
من يقيم الأشياء هنا
والهواء والضياء؟
من الرجل (أو المرأة)
يريد اختراع الجرح الأول
وفتح الشفاه الجامدة؟
والطبيعة تجمدت على كلمة
لا تحدثني عن أثر جرح
هذا الطوق الأزرق والأحمر
يغلق رحلتي
أطارد كل ظل
ماثل على خط الأفق

أفتح العالم ومن هنا أدمر النظام
لا مكان إلا للصيف الجسور
والميل الذي يحملني
يقودني إليك
وأجزم إلى هذه اللحظة
أنه ليس نهاية السفر
وحصيد الوحدة
محاط بالأسرار
شوط بعيد
من قوتي الأرضية
ومن براءتي
عيونك مغلقة
بحر وسماء
مقطوعان بطية رمل
لاستعادة متعة الشواطئ
قصف الكشوح
وانبثاق الأمواه
جرأة النهود
رحلة الضوء
من الكتف إلى البطن
إلى الأفخاذ المكتنزة

إلى كعوب الأقدام الملساء
وكل البحر يتدفق بين هذه الضفاف
شفاهي سوف تتصلب
طين يابس
جسدي انهار غبارا
لم تبق لي
إلا هذه الانتصارات من الهذيان
التي تقوضت
إلا سكونه
الامتداد العنيف
شسع النهار
وفرة من زمن مهدور
ولكن
من جهة أخرى
شك لظل
كنظرة معقودة
من بقية شفقة

جســـــور

التي تبسم لي برفـق
جامـدة
تترقـبني
ثم فجـأة
تغير الجسر
ثم تعـود
على منحدرات الزمن

وتهرب بعيدا
يهزني كل الأمل
وتطير ألقا
يزداد
من مكان إلى مكان
تصنع نهارا آخر
مضيئا
من قلب مغلق
عن مدينة مرهقة
عـناء
تقصي فجر قاتل
تمنعني إذا ركضت

لأقترب منها

في هذه " اللونابارك " الكبيرة
المتوقفة
لا شيء
من حريق الأوكسدريك
يجدي

في واجهة محرقة
لصانعة قبعات
تمثال ملابس عار
أخرس وردي
يرمقني
تائها
لا يعقل
أبدا

الفـهرس

تقديم الشاعر لويس أرغون 05
كلمة المترجم..... 11
ظل حارس..... 13
مطلع الفجر..... 17
الساعة المجنونة..... 19
أغنية للأطفال..... 20
صوت..... 22
على الأرض المضلة..... 24
العناصر..... 27
قيلولة..... 33
نور معاكس..... 34
أرض ظل..... 37
ميناء..... 38
شكوى..... 40
المربيات..... 43
غريب..... 45
التماثيل..... 47
مساء في الغابة..... 49
هذا اليوم..... 50
أونفير..... 52

ربيع.....54
أطوار الليل.....56
جمال الحقيقة.....59
تانزورين.....61
كأنما حلمت.....63
الطبيعة الباريسية.....65
على رحيل نيزفال.....67
صيف.....69
فيجا.....74
عش اليوم.....77
أغنية إلى إلزا.....78
جسور.....81
الفهرس.....83

للتواصل مع المؤلف :
saadoun54@hotmail.fr
0660327448